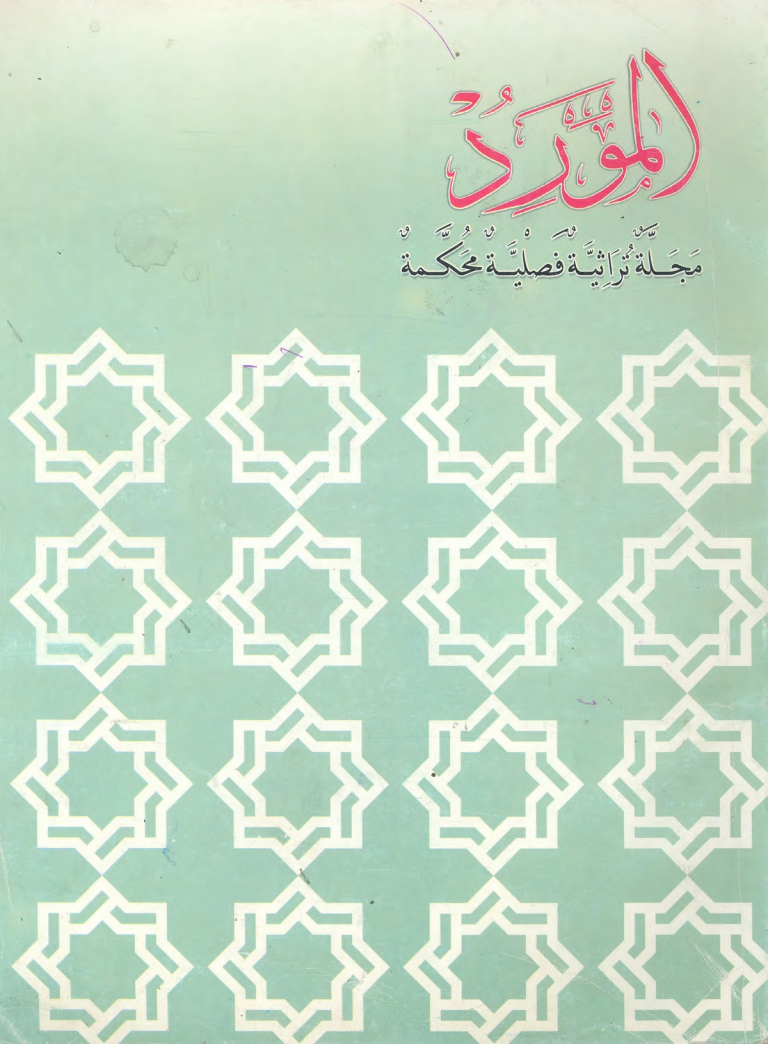
المورد
مجلة تراثية فصلية محكمة

اشعار ابي الشيص الخزاعي

بقلم الاستاذ

هلال ناجي

راغبة خاتون ـ الاعظمية (بغداد)

العمل الذي نهد به الاستاذ عبدالله الجبوري في جمع ما تفرق من شعر هذا الشاعر المجيد المقتول سنة ١٩٦ هجرية ، من شتى المظان والمصادر مطبوعة ومخطوطة وقد ناهزت المئة ، عمل جليل جدير بالتقدير والتنويه • ذلك ان سوء الطالع قد حالف أبا الشيص حيا وميتا • حالفه حيا حين طمست شهرته معاصرته لشعراء من الطبقة الاولى كمسلم بن الوليد والنواسي • وحالفه ميتا حين ضاع ديوانه فيما ضاع من تراث السلف •

ولقد صدّر الكتاب بترجمة لأبي الشيص كتبها المحقق ، ثم أعقبها بنصوص المجموعة ، وقفّى عليها بأخبار أبي الشيص نقلا عن الاغاني وتاريخ بغداد وجمهرة انساب العرب ، وختمها بقصة الدعدية ، فثبت المصادر والمراجع ، فالفهارس •

* * *

وقد رأيت أن أجمل ملاحظاتي على هذا الجهد القيم في الآتي :

أولا : في ترجمة الشاعر (ص ٦) نسبه المحقق هكذا : محمد بن عبد الله بن رزين ••• الخزاعي • وذكر المحقق في هامش الصفحة المذكورة ما نصه : « هذا نسبه على التحقيق وقد أخذته عن جمهرة أنساب العرب ص ٢٤١ وتاريخ بغداد ٥/٤٠١ والاغاني ١٥/١٠٤ وتاج العروس مادة شيص وبروكلمان ٢/٦٩ الطبعة العربية ، ودائرة المعارف الاسلامية ١/٣٥٩ » • ثم ذكر في الصفحة الثامنة ما نصه : « وقد وهم جماعة من أصحاب المراجع القديمة والحديثة في جعل أبي الشيص عما لدعبل ، ومنهم : الأصفهاني أبو الفرج في الاغاني ١٥/١٠٤ ، والعباسي في معاهد التنصيص ٤/٨٧ ، وابن كثير في البداية والنهاية ١٠/٢٣٨ حيث أورد نسبه هكذا : محمد بن رزين ، والنويري في نهاية الأرب ٣/٨٩ ومن المعاصرين جرجي زيدان ٢/٨٧ وخير الدين الزركلي ٧/١٥٤ وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١١/٢٣ حيث جاء فيه نسبه « محمد بن علي بن عبد الله » ولعله اعتمد جمهرة أنساب العرب فيما ذهب اليه » •

ويلاحظ على هذا الكلام ان المحقق قد أورد نسب الشاعر كالآتي : محمد بن عبد الله بن رزين ، مستندا الى ستة مراجع ، ثلاثة منها متأخرة وهي تاج العروس وبروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية لا يصح الترجيح استنادا اليها • أما الثلاثة الأخر فهي :

١ ــ جمهرة أنساب العرب ، وهي تنسب الشاعر هكذا : محمد بن علي بن عبد الله خلافا لما أورده المحقق •

٢ ــ الاغاني ، ونسبه فيها : محمد بن رزين خلافا لما ارتآه المحقق .

٣ ــ تاريخ بغداد ، وقد أورد روايتين ورجح واحدة على اخرى بالنص التالي : « محمد بن عبد الله بن رزين ، ابو الشيص الشاعر . يكنى أبا جعفر وابو الشيص لقب ، وهو ابن عم دعبل بن علي الخزاعي ، وقيل هو محمد بن رزين وكان عم دعبل والأول أصح » .

مما تقدم يتضح ان المصدر القديم الوحيد الذي اعتمده المحقق في اثبات نسب ابي الشيص هو تاريخ بغداد . فهل يصح اعتماد هذا المصدر لوحده مع علمنا بأن الخطيب البغدادي توفي سنة ٤٦٣ هـ ، فهو متأخر بالنسبة لابي الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ! !

الواقع ان هذه النقطة محل تأمل ذلك ان المؤرخين القدامى ذهبوا فيها ثلاثة مذاهب :

١ ــ بعضهم كابن حزم في جمهرة انساب العرب رأى انه : محمد بن علي بن عبد الله .

٢ ــ وبعضهم كأبي الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ في الاغاني ١٠٤/١٥ ، والرقيق النديم القيرواني المتوفي في الثلث الاول من القرن الخامس للهجرة في كتابه قطب السرور ص ١٠٧ ، وصدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري المتوفي سنة ٦٥٩ هـ في الحماسة البصرية ١٥١/١ ، والنويري المتوفي سنة ٧٣٣ هـ في نهاية الارب ٨٩/٣ ، وابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ في البداية والنهاية ٢٣٨/١٠ ، والعباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في معاهد التنصيص ٨٧/٤ ، رأو انه : محمد بن رزين وأنه عم دعبل بن علي الخزاعي .

٣ ــ وبعضهم رأو انه : محمد بن عبد الله بن رزين وانه ابن عم دعبل وأقدم من نسبه هذه النسبة ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في كتابه « الشعر والشعراء » ٧٢١/٢ ، وابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ في طبقات الشعراء ص ٧٢ ، وابن النديم المتوفى في حدود الاربعمائة للهجرة في كتابه الفهرست ص ١٦١ ، ويوسف بن عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في بهجة المجالس ٧١٢/١ والخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في تاريخ بغداد ٤٠١/٥ .

نخلص مما تقدم ان رأي المحقق في هذه المسألة ، مغلوط من حيث التسبيب والتخريج (الأسانيد) صحيح من حيث النتيجة. ذلك أن أقدم الرواة وأقربهم الى عصر الشاعر وهما ابن قتيبة وابن المعتز نسباه هكذا : محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو ما ذهب اليه المحقق وما نراه نحن أيضا . إنما اخطأ في التخريج وبيان سبب الترجيح . وقد فصلنا ذلك فيما تقدم .

* * *

ثانيا : ولقد أغفل المحقق الفاضل وهو مؤرخ في مقدمته لعبد اللهابن أبي الشيص ، ما ذكره ابن المعتز في طبقات الشعراء صفحة ٣٦٥ ــ ٣٦٦ ونصه : « حدثني النوفلي قال : كنا بواسط ومعنا ابن أبي الشيص فتجارينا أمر الشعراء ، ففضلنا بعضا على بعض فقال ابن ابي الشيص : أنا أشعر الناس ، وكان أشعر مني أبي ومن جميع من مضى ومن بقى ، فقلت له : كذبت في نفسك خاصة ، فأما أبوك فلعمري (إنه كان أشعر أهل زمانه) ، وكانت بابن ابي الشيص لوثة ، لان السوداء غلبت عليه ، فاختلط واشتاط وخرق ثيابه ، ثم زجّ نفسه في دجلة وكان فينا جماعة يسبحون فاخرجناه وهو لا يعقل لما به من البرد ــ وكان يوم شديد البرد ــ فدثرناه حتى تماسك وقوى قليلا ، فلما أصبح مات .

وأورد له ابن المعتز البيتين التاليين :

كفى حزنـا اني أرى من احبـه
لديّ صريعا لا أطيق لـه نفعـا
سوى انني أدعو له الله مخلصـا
وأذري على خدّي بمصرعه دمعـا

* * *

ومما ظفرتُ به شخصيا في مخطوطة كتاب (الكُتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها) للبغدادي النحوي الضرير ما نصه :

: « وكتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق في ابن ابي الشيص الشاعر ، كتابي اليك كتبتُه بيدي وفرّغتُ له ذهني ، فما ظنك بحاجةٍ هذا موقعُها مني ، أتراني أُقصّرُ في الشكر عليها أو أقبل العذر فيها » .

وكان الحسن بن وهب من أبلغ الكتاب في زمنه .

* * *

ثالثا : بالرغم من الجهد المضني المشكور الذي بذله المحقق الصديق في استقصاء اشعار ابي الشيص والتنقير عليها في مظانها ، فقد فاته اثبات الابيات التالية من شعره التي نرجو باثباتها هنا استدراك بعض ما فاته خدمة لتراثنا الشعري العريق واستكمالا لهذا المجهود الطيب وفيما يلي نص الابيات المستدركة :

أ ــ ومن يكن الغراب لـه دليلا
فناووسُ المجوسِ لـه مصيرُ[1]

ب ــ وكُميتٍ أرَقّها وَهَجُ[2] الشمـ
ـسِ وصيفٌ يغلي بها وشتاءُ

طبختها الشعرى العَبُورُ وحثّـ
ـت نارَها بالكواكب[3] الجوزاءُ

محضتها كواكب القيظ حتى
أقلعت عن سمائها الأقذاءُ

هي كالسُرج في الزجاج اذا ما
صبّها في الزجاجة الرصفاءُ

ودم الشادن الذبيح وما يحـ
ـتَلِبُ الساقيان منها سواء[4]

قد سقتني والليل قد فتَق الصـ
ـبح بكأسين ، ظبيةٌ حوراءُ

عن بنانٍ كأنها قُضُبُ الفضّـ
ـةِ حَنّا أطرافَها الحِنّاءُ[5]

* * *

ج ــ وقال ابو الشيص وقد اصطبح :

عاطني كأسَ سلوةٍ
عن أذانِ المؤذّنِ
ما ترى الصبحَ قد بدا
في إزارٍ متبّنِ
فاسقنيها سُلافةً
والطُمَنّي وأرمِني[6]

د ــ ومن القصيدة النونية المثبته في الديوان ص ٩٨ فما بعدها وأولها :

اشاقكَ والليل مُلقي الجرانِ
غرابٌ يَنوحُ على غُصْنِ بانِ

---

(١) التمثيل والمحاضرة : الثعالبي : ص٣٦٩ .
(٢) وهج : وضح : قطب السرور ص٢١٦ .
(٣) بالكواكب : بالظهائر : قطب السرور ص٢١٦ .
(٤) في رواية ثانية في قطب السرور ص٢١٦ ورد البيت كالآتي :
كدم الشادن الذبيح اذا ما
صبّها في الزجاجة الوَصفاء
(٥) قطب السرور في اوصاف الخمور : الرقيق النديم : ص ١٠٧ــ١٠٨ .
(٦) قطب السرور : ص١٠٨ .

سقط البيت التالي :

فيا حسنها عند شكٍّ البِزال
يمجُّ سلافتَها في الأواني[٧]

وفي رواية اخرى في قطب السرور ص ٧١٤ ورد كالآتي :

فأحسبها وهي مكروعةٌ
تمج سلافتها في الأواني

كما ورد البيت التالي ولا وجود له في الديوان :

عناقيد أخلافها حُفَّلٌ
تدِرُّ بمثل الدماء القواني[٨]

هـ ـ وفي القصيدة الرائية المثبتة في الديوان ص ٥٩ وأولها :

نهى عن خلة الخمر
بياض لاح في الشعر

سقط البيت الآتي :

على صهباء كالشمس
وكالكافور في النشر[٩]

وهناك اختلافات عديدة بين النص الوارد في قطب السرور والنص المثبت في المجموعة تجدر ملاحظتها .

* * *

رابعا : تخريج القصائد :

يلاحظ ان المحقق الاديب قد بذل جهداً كبيراً في تخريج القصائد والاشارة الى الاختلافات الواردة في النصوص في شتيت المظان . لكنه في احايين قليلة كان يكتفي بمرجع واحد أو اثنين وربما كانت العجلة أو الرهق وراء هذا النقص . من ذلك على سبيل المثال القطعة التي أولها :

وصاحب كان لي وكنتُ له
أشفقَ من والدٍ على وَلدِ (ص ٣٧)

فقد اكتفى الجبوري في تخريجها بذكر مرجع واحد هو : ديوان المعاني ١٩٩/٢ . في حين ان هذه الابيات قد وردت في عيون الاخبار ٨١/٣ ، كما وردت في الصداقة والصديق ص ٥٣ والمحاسن والاضداد ص ٤١ وبهجة المجالس ٧١٢/١ كما ورد بعضها في العقد الفريد ٣٤٧/٢ منسوبا لابن أبي حازم .

ومثال ذلك أيضا القطعة المثبته في الصفحة ٥٨ من المجموعة وأولها :

ضع السرَّ في صماء ليست بصخرة
صلود كما عاينت من سائر الصخر

فقد رجع في تخريجها الى : الحيوان ٦١/٦ ومخطوطة ربيع الابرار واضيف الى مظانها : بهجة المجالس للقرطبي ٥٨/١ وفيه البيت الثاني كالآتي:

ولكنها قلبُ امرىءٍ ذي حفيظةٍ
يرى ضيعة الأسرار شراً من الشر

وفي القطعة الواردة في المجموعة ص ٨٧ وأولها :

ما فرّق الاحبابَ بعد الله إلاّ الإبلُ

يمكن أن نضيف في تخريجها المصادر التالية: بهجة المجالس ٢٥١/١ وزهر الآداب ١٧٠/٢ .

وفي تخريج البيتين الواردين في الصفحة ١٠٤ من المجموعة وهما :

كريم يغض الطرف فضل حيائه
ويدنو وأطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لاينته لان متنه
وحداه إن خاشنته خشنان

يمكن اضافة المظان التالية : حماسة البحتري ص ١٦٢ ، خاص الخاص للثعالبي ص ٨٩ ، بهجة

---

(٧) قطب السرور : ص٢١٧ .
(٨) قطب السرور : ص٧١٤ .
(٩) قطب السرور : ص٦١٣ .

المجالس للقرطبي ١/٥٩٢ ، التمثيل والمحاضرة ص ٢٦ ، لباب الآداب ص ٧٥ ، حماسة ابي تمام ٣/٢٦٥ .

* * *

خامساً : حول نسبة بعض الابيات :

ولا وجه لنسبة بعض قطع المجموعة الى أبي الشيص . فالقطعة رقم ٣٣ ص ٧٥ وأولها :

ولقد أقول لشيبة أبصرتها
في مفرقي فمنحتها إعراضي

هذه القطعة ليست لابي الشيص . لقد ذكرت هذه القطعة في مرجعين : سمط اللئالىء ، ونسبت الى رجل مجهول من الازد . والاقتضاب، وقد نسبت الى اعرابي . فلا يصح بعد هذا نسبتها الى أبي الشيص . أما ماذهب اليه السيد عبدالعزيز الميمني فهو وهم محض ولا سند له في كتب الادب والتاريخ . ومن الغريب ان الصديق المحقق تنبه للأمر ورغم ذلك أثبت الابيات ضمن المجموعة .

وتعتور نسبة بيتين آخرين الى ابي الشيص ريبة ، وهما برقم ١٥ ص ٤٠ ونصهما :

انعى فتى الجود الى الجود
ما مثل من انعى بموجود

انعى فتى مص الثرى بعده
بقية الماء من العود

فهذان البيتان وإن اثبتهما الجاحظ في البيان والتبيين ونسبهما لابي الشيص ، فالارجح عندي انهما لاشجع السلمي ضمن قطعة من سبعة أبيات قالها في رثاء محمد بن منصور بن زياد وأوردها ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) ص ٧٦٠ .

سادسا : ووقعت في بعض ابيات اغلاط هينات ، أغلبها فيما اظن من تطبيع المطبعة ، واسهاماً في خدمة شعر هذا الشاعر المجيد رأيت اثباتها في الجدول الآتي :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
أحول	إحْوَلَّ	٣٧	٦
طيٍّ	طَيٍّ	٦٩	٤
وبرُقهُنَّ	وبروقهنّ	٧٢	١٠
فَرَيْتِ	قَرَيْتَ	٨٥	٧
بعْدَ احتيالٍ	بَعْدَ اختيالٍ	٨٦	٣
فأهِنْتُ	فأهَنْتُ	٩٢	١
قَلْمٌ	قَلَمٌ	٩٦	٦
بَنْسَتِ	بِئْسَتِ	١٠١	٨
فَضْلُ	فضلَ	١٠٤	٣
أصبت	اصبحت	١١٦	٨

* * *

كلمة عن شعر ابي الشيص : تبرز في هذه المجموعة بعض الظواهر الفنية . اولها : ظاهرة ازدواجية عجيبة ، فالشاعر يتقنعر أحيانا ويبدو وكأنه يتصيد الاوابد والشوارد ، وينحو في صياغته نحواً جزلاً متخيراً بحوراً تلائمها كالطويل والكامل . فالجزالة والفحولة صفتان ملازمتان لهذا اللون من شعره ويبدو ذلك في اجلى صوره في قصيدته التي مطلعها :

مرت عينه للشوق فالدمع منسكب
طلول ديار الحيّ والحي مغتربْ

وقصيدته التي أولها :

يا دار مالك ليس فيك أنيس
الاّ معالم آيهن دروس

وقصيدته التي مطلعها :

أبقى الزمان به ندوب عضاض
ورمى سواد قرونه ببياض

وفي مواضع اخرى نرى الشاعر يجنح الى تخير الالفاظ العذبة السهلة والبحور الراقصة كالمنسرح والسريع والرمل والهزج والمجتث والرجز ، فاسلوبه فيها يمتاز بالسهولة والسلاسة :

وثانيها : ميل الشاعر الى التشخيص ، تشخيص المعنويات والجمادات ، وهو يبدع في ذلك ويأتي بالجيد منه كقوله :

ربع دارٍ مُدرَّسِ العرصات
وطلول ممحوّة الآياتِ
خفق الدهر فوقها بجناحين
مريشين بالبِلى والشتاتِ

وقوله :

هذا كتاب فتى له همم
عطفت عليك رجاءَه رَحِمُه
غلَّ الزمانُ يديْ عزيمته
وهوَت به من حالقٍ قدمه
أفضى اليك بسرّه قلم
لو كان يعرفه بكى قلمه

وقوله :

اصبت المدام بريق الغمام
وقد زُرَّ جيب قميص الظلام
فشابت نواصي الدجى وانفرى
عن الصبح سربال ليل التمام

* * *

خاتمة : العمل الذي نهد به الاستاذ عبدالله الجبوري في جمع ما تفرق من شعر هذا الشاعر المجيد من شتيت المظان والمصادر مخطوطة ومطبوعة وقد ناهزت المئة ، عمل جليل جدير بالتنويه والتقدير ، قمين بالتعليق والتثمين ، ذلك انه بعد كل ما تقدم حلقة في سلسلة ذهبية من التحقيقات القيمة ، مازال الجبوري يرفد بها المكتبة العربية في دأب متواصل وكدّ متلاحق جدير بالتحية وحريّ بالتقدير .